تمثَل الشباب للهويات الافتراضية في الإعلام الاجتماعي، و علاقة ذلك بالاستبعاد الاجتماعي –الشباب الجزائري نموذجا

أ.د يامين بودهان

[1] قسم الإعلام ، جامعة قطر yboudhane@qu.edu.qa

The representation of the Young with virtual identities in social media, and its relationship to social exclusion: The Algerian youth as a model

Pr Yamine Boudhane, Qatar University

تاريخ الاستلام: 2022/05/20 تاريخ القبول: 2022/06/03 تاريخ النشر: 2022/06/30

ملخص:

ارتأينا في هذه الدراسة أن نعالج بالتحليل و التفسير مسألة تبني الشباب الجزائري لهويات و شخصيات افتراضية مستعارة اثناء استخدامهم المتكرر لمواقع الإعلام الاجتماعي ، التي كثيرا ما تجعل الشباب ينغمسون في عالم غير واقعي ،يقيمون ضمن فضاءاته علاقات تفاعلية غير حقيقية مع من يتواصلون معهم ، اذ رغم تباعدهم الفيزيقي عن بعضهم البعض الا انهم يتماهون في تشكيل كيانات افتراضية بديلة ، تحولهم الى مستخدمين افتراضيين متحررين من كل الاكراهات و القيود الفيزيقية والنفسية والاجتماعية ، فهذه الفضاءات الاتصالية الحرة تولد في فئة الشباب نزعة تحررية اتجاه ما هو محرم اجتماعيا أو عرفا أو سياسيا، فتكون بذلك فضاءات لتجدد تشكل ذواتهم ، وقد يحدث ان تتولد لديهم في كثير من الحالات ذوات متعددة وليس ذات واحدة ، فيحدث لديهم ما يشبه بتعدد الشخصية جراء تبني سلوكيات ومواقف اتصالية متعددة ، حين يدخلون إلى مواقع المحادثة مثلا نجدهم أحيانا يتقمصون أدوار ذكور ،وأحيانا أخرى ادوار إناث ، وفي أطوار يظهرون في مظهر المثقف ، وفي أخرى في مظهر الأمي.

وكثيرا ما يعتبر انغماس الشباب في علاقاتهم الافتراضية كآلية من آليات التحرر من الاستبعاد الاجتماعي و السياسي الممارس عليهم ، فحتى إذا ما عجزوا عن الهجرة الحقيقية نتيجة الحرمان و البحث عن واقع أفضل ، فإنهم يهربون طوعيا أو يستبعدون نتيجة الإكراهات الاجتماعية والسياسية (البطالة ،المشاكل الاجتماعية ،الحرمان...)

الكلمات المفتاحية: تمثل ، الهويات الافتراضية ، الشباب ، الإعلام الاجتماعي، الاستبعاد الاجتماعي

Abstract:

In the present study, we attempt to analyze the question of adopting virtual identities by Algerian youth, while using frequent social networking sites, which often make the young people plunge into an unrealistic world, in which they maintain unreal interactive relationships with whom they communicate. Despite their physical separation from each other, they form alternative virtual entities, transforming them into virtual users freed from all physical, psychological, and social constraints.

As these free communicative spaces generate in the youth a liberation tendency towards what is socially, customary, or politically forbidden, they become spaces for renewing their selves. In many cases, it may happen that they have multiple selves and not only one; so, a multiplicity of personality occurs to them as a result of adopting multiple communicative behaviors and attitudes. As soon as they engage in chat rooms, they appear to adopt male roles, and; sometimes, female roles. In other contexts, they adopt the literate, or illiterate roles.

The immersion of young people in their virtual relationships is often considered a mechanism of liberation from the social and political exclusion practiced on them, even if they are unable to emigrate because of deprivation and the search for a better reality, they either run away voluntarily, or they are excluded because of social and political constraints (unemployment, social problems, etc) to look for new virtual alternatives that are supposed to give them the social confidence and self-esteem they hope for.

Keywords: Representation, virtual identities, youth, social media, social exclusion.

. مقدمة:

لا تزال تستأثر مسألة الهوية باهتمام بارز في النقاشات الاجتماعية التي تثار في الوقت الراهن ، على اعتبار أن الزمن الحالي يشهد انشطار الهويات القديمة التي شكّلت لفترة طويلة قاعدة لاستقرار الفضاء الاجتماعي (هال ، 2008: ص137) ، و تولدت هويات رمزية تتجاوز إكراهات الو اقع وحدوده، فأضحى هذا الفضاء الافتراضي الجديد المتجسد في فضاء الإعلام الاجتماعي فضاء للانكشاف الحر غير المقيّد، يسمح للفرد بالتفاعل والتواصل من وراء حجب الشاشات الصغيرة بطر ائق متعددة.

فمو اقع الإعلام الاجتماعي -بمنصاتها التواصلية المتعددة – أصبحت أشبه بمسرح اجتماعي للذات، تمارس فيه الذوات الافتراضية أنماط التواصل وصيغ التعبير ودلالات البحث عن الأنا بالمعنى الاجتماعي للكلمة (لصلج ، 2017: 227) ، في سياق تجاربها الداخلية وتفاعلاتها مع الآخر، و في إطار سلوكات وممارسات شبيهة بالمسرحة الاجتماعية للذات لما يتخذ الآخر مرآة تعكس صورة الأنا كذات، وفي هذا السياق يقول ألان توران " Alain Touran أسمي ذاتا الرغبة في أن أكون فردا، وصنع تاريخ شخصي وإعطاء معنى لتجارب الحياة الفردية" (رحومة ، 2010 :137) .

وتحولت فعلا فضاءات الإعلام الاجتماعي لمجال حيوي يستعرض من خلالها الأفراد أنفسهم و ذواتهم في فضائهم الصغير (الجداريات و الصفحات) .

1. الهويات الافتراضية : واعادة تشكيل الذات :

أظهرت كثير من الدراسات التي عالجت ظاهرة استخدامات الشباب لمواقع التواصل الاجتماعي أن دخول مواقع المحادثة المباشرة يعد من الأنشطة الاتصالية الأكثر استخداما من طرف فئة الشباب ، فحسب دراسة فرنسية أجراها مركز (Universal McCann Connections)أكدت أن أكثرية الشباب من 12-20 سنة يستخدمون الدردشة بقوة مقارنة مع الخدمات الاتصالية الأخرى ، إلى جانب الخدمات الأخرى ، كالبريد الالكتروني ، مواقع الويب (McCann ,2003) .

كما أوضحت دراسة سعودية عن استخدامات الإنترنت في مدينة الرياض أن 33.5% من الشباب يستخدمون شبكة الانترنيت لأجل الحديث والدردشة إلكترونيا مع الآخرين ، كما أوضحت الدراسة أن ما نسبته 15.6% يستخدمون الدردشة لغرض البحث عن علاقات رومانسية وعاطفية مع الجنس الآخر ، كما أظهرت أن 8.53%من متصفحي الشبكة يستخدمون مواقع الإنترنت لإرسال البريد الإلكتروني.

و يقصد بالمحادثة الالكترونية عملية التحاور ضمن مواقع الإعلام الاجتماعي، وتبادل الأحاديث بشكل تفاعلي ، وفي ظرف آني تزامني ، يطلق على هذه العملية باللغة الانجليزية (chatting)، وباللغة الفرنسية (Le chat) ، يطلق عليها أيضا باللغة الفرنسية (cyberbavardage) ، وتكون هذه المحادثة أو الدردشة بين المستخدمين نصيا باستخدام (الكلافي) ، أو صوتيا و مرئيا باستخدام ميكروفون وكاميرا ملحقة بجهاز الكمبيوتر، لإجراء المحادثة يجب على المستخدم تسجيل نفسه في إحدى غرف الدردشة(chatting rooms) ، وقد يدخل المستخدم باسمه الحقيقي أو يختار اسما مستعارا (pseudonymes) GIRI, 2009

هنالك بعض مواقع الويب التي تحوي غرفا للحوار أو الدردشة ، تكون هذه الغرف عامة تتناول مختلف المواضيع، وقد تكون متخصصة تتناول مواضيع محددة. و تكون هذه الغرف الحوارية بلغات عدة .و بإمكان المستخدمين الذين يدخلون لنوافذ الدردشة أن يدخلوا ضمن مجموعات مشتركة للمحادثة، وبإمكانهم أيضا إنشاء غرف خاصة للأحاديث الفردية بين المستخدمين.

تنمي مواقع الإعلام الاجتماعي سلطة الأنا لدى مستخدميها ، لأنها تتمحور حول التعبير عن الذات، وليس الجماعة، فالمشترك في الفيسبوك مثلا أو تويتر أو أية شبكة اجتماعية أخرى يرى صورته في هذه الشبكة ويتلقى انعكاساتها في أصداء قائمة أصدقائه ومعارفه، فالفيسبوك أو الانستغرام و غيره من مواقع التواصل الاجتماعي هي مساحات لتجريب الأنا وهذا لا يعني ان الشخص لا يكتشف ذاته إلا عبر الآخر، بل يدل على أن الشخص المشترك في شبكة الفيسبوك مثلا يبني هويته انطلاقا من الصورة التي يريد أن يعرف بها في الشبكة، وهي عادة صورة مداهنة للذات تعززها الشعبية التي تتمتع بها ويثبتها سجل أصدقائه ومعارفه، ويحدد على أساسها مكانته وموقعه بالنظر إلى هذا السجل. (العياضي ، 2012: ص87).

إن هذا الفضاء الاتصالي الجديد عن طريق فضاءات المحادثة المباشرة (Le Chat) يعد بحق فضاء مفتوحا لتواصل الأفراد بكل حرية وفي كل المواضيع ، وفي كثير من الحالات يتطور مستوى العلاقات التي تقام عن طريق الشات لتصل إلى التقاء الأفراد مع بعضهم فيزيقيا بعد أن كانوا يلتقون افتراضيا ، فكثير من حالات الزواج كانت نتيجة لتعارف الزوجين في إحدى غرف الدردشة ، ثم تمتنت العلاقة بين الطرفين فتوجت بلقاء فعلي ثم زواج ، وكثير من حالات الاعتداء و الاغتصاب حدثت نتيجة تعارف ذكور وإناث لا يعرفون عن بعضهم البعض شيئا ، إذ حدث كثيرا أن استمال شخص معتد و منحرف بنتا أو شابة ما، يكون قد تعرف بها عن طريق الشات ، فيكذب عليها بكلام معسول ، و يوهمها انه شاب وسيم و غني أو مثقف ، و انه يريد إقامة علاقة دائمة تتوج بالزواج ، فتقع الفتاة في شراك هذا الشخص الغريب المنحرف ، وبعد أن تلتقي به في مكان ما، قد يكون في حديقة متواجدة بمكان منعزل ، أو شقة ، ثم تصدم الفتات فتجده عكس ما كانت تتصور ، فقد يكون كهلا أو شيخا ، و حينها قد يعتدي عليها أو يغتصبها ، هذا كله يحدث نتيجة للحوارات والأحاديث الطوباوية التي تجرى في مواقع المحادثة ، فكثير من الأشخاص يصورون أنفسهم بمثالية عكس ما هم في الواقع ، يكون هدفهم الكذب على الآخر ، و محاولة إغوائهم واستمالتهم.

هذا الجانب السلبي لحوارات الشات لا يمنع و لا ينفي وجود استخدامات ايجابية لهذه التقنية الاتصالية ، فكثير من المعلومات والأفكار عن ثقافات الآخرين وطرق عيشهم وحضارتهم يتعرف عليها الشباب بتحاورهم مع بعضهم البعض ، كما أنها تمكن الأصدقاء والأقارب المتواجدون في أماكن متباعدة من التواصل مع بعضهم البعض في ظرف آني ، و بمشاهدة بعضهم عن طريق الكاميرا و بسماع بعضهم ، بأقل تكلفة وفي أي وقت يشاءون ، بتكلفة تقل كثيرا عن تكلفة استخدام الهاتف ، إذ تكلف المكالمات الدولية خاصة مبالغ كبيرة للمتصلين من دولة إلى دولة أخرى ، عكس الدردشة الالكترونية عن طريق الفايسبوك ، اوالسكايبSkype مثلا أو الميسنجر....Msm Messenger الخ

إن فضاء الاتصال عبر مواقع المحادثة يمنح حرية الاختيار للمستخدمين المتحاورين أن يفصحوا عن هوياتهم الفعلية، أو يتكتموا عنها، فيتيح لهم إمكانية اتخاذ هويات وأسماء مستعارة، في هذه الحالة يميل كثير من الشباب إلى التستر خلف أسماء وصور غير حقيقية أثناء الاتصالات ، إذا ما وجدوا صعوبات في التعبير عن بعض الأفكار التي يصعب القيام بها وجها لوجه. كما أوضح ذلك اليشيفا قروس (Elisheva Groos) من جامعة كاليفورنيا ، في دراسته ":" استخدام الإنترنيت والرفاه في سن المراهقة « Internet use and well-being in adolescence. » "., كما أضاف الباحث مؤكدا على ما تحققه الانترنيت اجتماعيا للشباب قائلا : " الانترنت يعزز العلاقات بين الشباب اجتماعيا ، و قد يساعد على ملء الفراغ في المناطق الأكثر عزلة(Desavove . 2009)

نفس الرأي أكدته أخصائية علم النفس "أمل المخزومي "، التي اعتبرت أن تجربة الحوار الالكتروني جديدة بالنسبة للشباب، وهي بالفعل تجربة مثيرة يصاحبها إحساس بحب الاستطلاع والاستكشاف لدى هؤلاء الشباب، وقد أكدت ذلك بقولها:" هناك من الشباب من هو مهيأ لخوض هذه التجربة ، وآخرون يسيطر عليهم التعصب والاندفاع ونبذ أفكار وآراء الغير". وأضافت :" للتواصل الالكتروني عبر مواقع الإعلام الاجتماعي ايجابياته وسلبياته ، ومن هذه الايجابيات أنه :

1 -يساهم في تطوير الأفراد وذلك باطلاعهم على المستجدات العالمية من جميع النواحي الاقتصادية والسياسية والعلمية والفكرية والأدبية والدينية والاجتماعية والأسرية ...الخ

2 -يساعد على تكوين صداقات مع مختلف الشعوب .

3 -يختصر مسافات الاتصال مع مختلف أنحاء العالم.

4 -يساعد على اكتساب مواهب جديدة وذلك عن طريق الدورات والدروس المجانية التي تقام في المنتديات أحيانا .

أما سلبياته فهي :

-1 يشوب الحوارات التعصب للرأي ،مما يضيع فرصة الاستفادة منها ،خاصة في المجالات السياسية والدين .

-2 الابتعاد عن الجدية، فهناك بعض الأفراد يلجئون للمنتديات بغرض السخرية والاستهزاء ويمارسون سلوكيات غير لائقة .

وقد أكدت أيضا الأخصائية النفسانية المخزومي عند حديثها عن عوامل الاستفادة من التحاور الالكتروني لبناء اتجاهات ايجابية للشباب انه :" ينبغي أن يبنى الحوار على أسس من الاطمئنان والثقة بين الطرفين وإلا ضاع الاثنان في تلاعب الواحد بمقدرات الآخر، كما أن هناك من الشباب من يجد المتعة واللذة بالكذب على الآخرين أثناء التحاور معهم أو الإساءة إليهم ، وذلك بدواعي الانتقام أو التلذذ بعذاب الآخرين ، الذي يعتبر نوع من السلوك الانتقامي العدواني. وتلافيا لذلك على الشباب أن يكونوا حريصين على فهم واستيعاب شخصية من يواجهونهم في فضاءات الحوار الانترناتي ويقدروهم ."

يتجه الشباب أيضا من خلال إخفاء هوياتهم الحقيقية في مواقع الدردشة والاتصال الالكتروني إلى البحث عن الهوية الشخصية ، والتمرد على المجتمع للفت الانتباه وتأكيد الذات و الهروب من الواقع الاجتماعي المعيش، سيما أن مرحلة الشباب والمراهقة كما أكدت ذلك الدراسات النفسية والسلوكية تتسم بتحولات نفسية واجتماعية وجسدية

تجعل الشاب غير متوازن نسبيا، ومن ثمة عرضة للتقلبات التي قد تكون مفاجئة ، ويكون هذا الأمر كافيا كي يجعل الشاب يحاول لفت انتباه الآخرين إلى وضعه وتميزه ،فهو يريد أن يقول انه كائن متميز ومستقل ، ويختلف عن أترابه ، ويمتلك من السمات والمهارات ما لا يمتلكه الآخرون ، وذلك ما يتطلب اعتراف الآخرين له وتقديرهم له (عزي ، 2005).

كما أن الشباب يميلون في غرف المحادثة والحوار إلى التواري وراء تعددية الذات والهويات، ويستحدثون هويات متعددة ، و مع ذلك لا يجب أن نتصور أن "استحداث" أكثر من هوية عملية يسيرة، فبناء هويات تفاعلية ذات طبيعة متناغمة، مكانيا وزمنيا، أمر تعترضه الكثير من العوائق والاكراهات ، وهو ما يجعل عملية تبنيها ليست بالأمر السهل، ذلك أن فاعلية هذه الهويات تكمن في قدرتها على إقناع المتحاورين معها ، في غرف المحادثة، بأنها تحيل على هوية فيزيائية حقيقية، وتحاشي الممارسات التي يمكن أن تشكك فيها أو تفضحها. إن هذه الهويات الافتراضية لا تبعث في نفس أصحابها الإحساس بالرضا المتعالي، إلا عندما يتم التحاور معهم باعتبارهم هويات حقيقية وليست فنتازمية . (الصادق ، 2009).

2. تشتت الشباب بين الواقع الافتراضي و الواقع الفعلي : (نوع الخط sakkal majalla مقاس14 مع تثخينه تباعد أسطر1)

تظهر عملية بناء الهويات لدى الشباب بشكل جلي في صفحات الإعلام الاجتماعي و في غرف المحادثة ، أين يتبنى الذكور شخصيات الإناث ، ويظهر الكبار على أنهم صغار ، والبطالون على أنهم موظفون أو أطباء أو مهندسون ، كما تظهر عملية بناء الهويات أيضا في مواقع الألعاب الالكترونية، التي يقوم بها الأطفال في تجريبهم للأدوار الاجتماعية التي يتقمصونها، إن الأطفال يتماهون مع أدوار لا تحيل على هوياتهم الحقيقية في العالم الفيزيائي، فهم يتقمصون دور الأم، والأب، والشرطي ، واللص... الخ (Guerrier , 2003) .

حيث تفتح مغامرة الإبحار في العالم الافتراضي فضاءات تواصلية بين الذات والآخر الممكن أو الآخر الحامل لإمكانات الدلالة بالمفهوم الدارج عند جورج هربرت ميد، وتغدو الهوية الفردية في هذه المقامات عملا هوياتيا متميزا بازدواجية التماهي والهوية، أي هو ابتكار "لآخر التماهي" وطلبا للمعنى وصيغة التعبير بالنسبة إلى الهوية الفردية ....إلخ ، فالهوية الذاتية في تجاربها مع العوالم الاجتماعية ذات الدلالة والمعنى تتحول إلى نتاج عملها الهويتي في البحث عن معنى، وحاجة دائمة إلى الاعتبار تجسدها أنماط التواصل مع الآخر الدال، وأصناف التعبير عن الذات . (رحومة ، 2010: ص137).

وترى لورا روبنسون في هذا الاتجاه أن إنتاج الهوية في الفضاء الافتراضي يبقى مرتبطا بنظرة الآخرين (التي تعتبر آلية مركزية لعملية بناء الهوية في الحياة الاجتماعية)، ففي التواصل الالكتروني يفقد التواصل بعده الحسي، لكن المستخدمين يعملون من خلال آليات الكتابة الالكترونية على محاكاة التواصل الاجتماعي بلغة جديدة يعبرون من خلالها عن مشاعرهم بواسطة علامات تعكس الهوية الحقيقية، فعندما يؤثث فردا ما فضاءه الالكتروني بالنصوص وبالصور، فهو يأخذ بعين الاعتبار نظرة الآخر له، كما أن نشاط الفرد على الشبكة يتوجه كذلك إلى الآخرين، فتعاظم التفاعلية يؤكد بشكل صريح أن الهوية على الشبكة لا يمكن أن تنفصل عن الآخر، كما أن المشاركة في المنتديات مثلا تشبه

التفاعل في الحياة الاجتماعية، لأنها ترتبط بالجماعة وبتعزيز القيم الجماعية، فاللغة المستخدمة والمضمون وأسلوب الكتابة تعكس كلها أداء الهوية باعتبارها عملية اجتماعية، كما انها تهدف إلى تعزيز القيم الأخلاقية الجماعية. كما أن الفرد لا يتحرر من نظرة الآخر، فالنكوص إلى عالم تكون فيه نظرة الآخر غير حاضرة مستحيل، وبهذا المعنى لا تؤدي العوالم الافتراضية بالضرورة إلى نهاية الذات (شوفالييه، 2013: ص 73).

إن سؤال الشرعية هذا عند بورديو يجد نفسه مطروحا على الوجود الفردي، لا على الوعي الخالص، وحتى نفلت من غياب علة الوجود فلا حاجة لنا بصياغة الغايات النهائية لوجودنا، لأنه في علاقتنا العادية بالعالم ليس الوعي هو من يمنحنا علل الوجود، ولكنه الرأسمال الرمزي. فنجد تبريرنا في ذالك الرضى عن وجودنا والذي يجلبه إلينا امتلاكنا لهذا الرأسمال من الاعتراف الذي ينجم من انتمائنا إلى حقل أو إلى مجموع حقول معطاة، بالفعل، يمنح الرأسمال الرمزي أكثر قليلا من المكافآت وعلامات العرفان، إنه يغذي الوهم الحيوي، الوهم بصفته التزاما في لعبة الحياة. (شوفالييه، 2013: ص 73).

جعلت ظاهرة استعارة الشباب لهويات غير حقيقية احد المدونين العرب يحرر مقالا ساخرا حول بعض الشباب الذين يبنون علاقات مع أشخاص هم في الحقيقة أقاربهم أو زملاؤهم ، ثم قد يسيئون إلى بعضهم البعض بكلام جارح أو مسيء لن يصدر عنهم أبدا في العالم الحقيقي:

"كلنا نعلم بأن عالم النت عالم وهمي افتراضي لأنه نادراً أن يدخل احد باسمه الحقيقي لدرجة انك قد ترتبط بعلاقات صداقه أو عداوة مع شخص آخر باسم مستعار، وقد يكون هذا الشخص يسكن معك في نفس المنزل ويستخدم نفس الجهاز الذي تستخدمه ، ولا احد منكما يعلم عن الأخر شيئاً إلا من خلال هذا العالم الافتراضي الوهمي أو الشبه حقيقي , ورغم ذلك نجد البعض يغضب إذا تعرض له احد أو شتمه احد ، والشتم هنا لهذا الاسم المستعار الوهمي أو غير الحقيقي ،والذي لا يعرف احد في الكون صاحبه إلا صاحب الاسم شخصياً ،هو من يعرف نفسه وقد يكون من يشتمه هو اقرب الناس إليه ، كما والذي لو علم بأنه هو صاحب هذا المعرف لقبل رأسه واعتذر له , وهنا حقيقة يجب أن ندركها جميعاً ويدركها صاحب هذا المعرف أن الشتم للمعرف وليس لشخصه، والدليل لو انه قربه سوف سيقول له آسف يا فلان ، والله لو علمت انك أنت صاحب المعرف لما أقدمت على شتمك أو إهانتك , إذا لماذا الغضب والتشنج من قبل صاحب هذا المعرف وليس هناك احد يعرفه ،بل إن هذه الشخصية الوهمية تتلاشى وتختفي عن الوجود بكبسة زر عندما نقوم بإطفاء جهاز الكمبيوتر، وتعود للحياة مرة أخرى بكبسة زر أيضا , أليس هذا دليل قوي على أن مرتادي النت يعانون نفسياً ؟" (الاسم المستعار للشاب : صقر)

دخول الشباب والمراهقين لمواقع الألعاب الالكترونية يخلق لديهم أيضا نوعا من المؤانسة الاجتماعية ، فتجعل الشباب الذين يلعبون مع بعضهم البعض يترابطون عضويا أثناء الممارسة المشتركة للعبة ، فيكونون صداقات قد تدوم لفترات طويلة أو قصيرة ، ولكنها على كل حال ظاهرة بارزة تستحق الملاحظة والذكر (Craipeau , 2005) .

لكن هناك من يهاجم هذه الألعاب الالكترونية ويرى أنها لا تساعد في تكوين وبناء الصداقات وتعزيز الترابط الاتصالي بين الأفراد ، بل العكس من ذلك ، أي أنها تقلص من حجم الاتصالات الشخصية ، وتضعف العلاقات

الاجتماعية ، بينما يدافع البعض الآخر عن هذه الألعاب بزعم أنها تساعد في تحسين التنسيق اليدوي والذهني والبصري ، وتطور الاتجاهات الايجابية نحو الانترنيت والكمبيوتر واستخداماته (Gamble , 2005) .

كثرة استخدام الشباب لصفحات الإعلام الاجتماعي يجعلهم يمزجون بين الواقع المعيش والواقع الافتراضي ، فتجدهم يعيشون في مساحة افتراضية غير حقيقية ، يتبنون فيها قيما وأفكارا وتصورات خاصة بهم ، لا نجدها في الواقع الحقيقي، وكثرة تصفح الشباب ومشاهدة مواقع الانترنيت يجعلهم يعتقدون أن ذلك هو العالم الحقيقي ، والعالم الذي يعيشون فيه حقيقة هو العالم الهامشي ، وقد يصل الحد بالشاب إلى الإعجاب بهذا العالم الافتراضي البديل و يتخذه ملاذا له ومهربا من العالم الحقيقي الذي قد يفشل فيه ، ولا يحقق ما كان يصبو إليه ، فيحقق في نظره نوع الهجرة الإرادية نتيجة الإحساس بالاستبعاد الاجتماعي ، فتنمي بذلك الانترنيت نزعة هروبية لدى الشاب وتجعله يفلت من واقعه الاجتماعي، متخذا من الواقع الجديد تعويضا عن وضع مفقود لم يستطع عيشه، وهذا بطبيعة الحال سيخلق لديه حالة نفسية غير مستقرة فينشأ لديه إحساس وهمي بالتعويض ، مما يزيد الشاب عزلة وابتعادا عن السياق الاجتماعي.

هذا ما أكده على سبيل المثال سون يون شياو ((Sun Yun Xiao نائب رئيس مركز البحث الصيني للشباب والأطفال في معرض حديثه عن تأثر الشباب الصيني بالانترنيت قائلا: "الانترنت أعطت أجنحة للشباب الصينيين" ، وأشار أن الانترنيت كسرت قرونا من التقاليد الصينية ، فأصبح هؤلاء الشباب على سبيل المثال يرتدون قمصانا كتب عليها أسماء نجوم كرة القدم الأوروبية ، ويقومون أسبوعيا بتحميل حلقات "بريزون بريك" ، ويقرؤون الكتب اليابانية المصورة ، ويستمعون إلى الموسيقى الأمريكية ، يحدث كل هذا الانفتاح على العالم الخارجي وثقافات الآخرين بفضل استخدامهم للانترنيت ، بعد أن كان الشباب الصيني من أكثر شباب العالم محافظة على تقاليده وعاداته .

ويقول توني هو جين تاو ، وهو طالب في مدرسة ثانوية ببكين :"لدينا الآن المزيد من السبل للحصول على المعلومات ، على عكس الأجيال السابقة التي كانت لا تعرف شيئا عن أي شيء ما عدا الدراسة(My mobile blog , 2017) . "

اعتقد أن نائب رئيس مركز الصين لبحوث الشباب والأطفال " شياو" محق في قوله أن الانترنيت جعلت شباب الصين يحلقون كأن لهم أجنحة ، وفي تشبيهه هذا يلمح إلى تطلع الشباب الصيني إلى متابعة كل ما هو جديد عبر استخدام مواقع الإعلام الاجتماعي، ذلك يجعلهم يقفزون افتراضيا إلى ثقافات وحضارات الآخرين ، و يمكنهم من تجاوز ثقافاتهم المحلية ، فهذه المواقع بطبيعة الحال تخلق لدى الفرد الإحساس بالعوالم الخارجية وتوسع المحيط لديهم ، فالفرد في مجتمع الإعلام والاتصال لم يعد محكوما فقط بسياقه المحلي ، بل أصبح مرتبطا بالبعد العالمي ، وأصبح يهمه ما يجري في كل العالم من أحداث ، حتى أن بعض المفكرين يقولون أن الفرد في المجتمع المعاصر أصبح عولميا (عزي ، 2005) ، لكن ذلك لا يعني انسلاخ الفرد من خصوصياته المحلية ، إذ أن الفرد في نهاية الأمر يلجأ في البحث عن ذاته إلى مجموعته العائلية والقبلية أو العرقية والسياسية والدينية.

ليس فقط شباب الصين من يؤمن بأن الانترنيت جعلتهم يحلقون في أجواء ثقافات وعادات وتقاليد العالم اجمع ، بل كل شباب العالم تجدهم يحلقون عاليا في هذه الأجواء بأجنحة افتراضية ، تجعلهم يعيشون في يوتوبيا لا حدود جغرافية لها ، ولا زمن محدد للغوص في خيالات هذا العالم الافتراضي. في إحدى حلقات النقاش التي أجريت في شبكة

الانترنيت ، طرح موضوع اتجاهات الشباب نحو الانترنيت واستخداماتها للنقاش بين الشباب المشارك في الحلقة ، وكان السؤال المطروح للنقاش مفاده : هل يعتبر الانترنت من الضيوف المحببين لك أو من المبغضين؟

فكانت أجوبة بعض الشباب كالآتي :

-الشاب 1: "الصراحة في بعض الأوقات تكون الانترنيت ذات فائدة كبيرة بالنسبة لي،إذ كلما استعصى علي شيء في دراستي من علوم أو لغات أو برامج أو شروحات أو ألعاب ألجأ إلى الانترنيت لأجد العون والمساعدة ، وكلما بحثت عن شيء سأجده حتما ، فكيف تكون مضيعة للوقت وغير مفيدة ؟ قد تعتبر الانترنيت مضيعه للوقت حين تتعارض مع العبادة أو الدراسة أو العمل" .

-الشاب 2 (أصالة زمان) : " والله إن الانترنت هي وسيلة جيدة جدا ومفيدة ، من ناحية الانتفاع بالمعلومات، ومن ناحية أيضا التسلية والترفيه الذي توفره ، كما تمكننا الانترنيت من ربط البعيد بالقريب ، ولكن فقط يفضل استخدامها في حدود الشرع والدين" .

-الشاب 3 (مسافرة بلا عنوان) : " الانترنت شيء حلو كثير، بس نعرف كيف نستخدمه ،وما نسيء استخدامه ".

هذه نماذج من تعليقات شباب في بعض مواقع حلقات النقاش طرحوا من خلالها آرائهم وعبروا عن اتجاهاتهم حول الانترنيت كوسيلة اتصال ، وابرزوا من خلالها وجهات نظرهم اتجاه ايجابيات الانترنيت وسلبياتها، وفي مجملها تحمل اتجاهات ايجابية وموافقة للانترنيت ، والواقع أن كثير من الدراسات الحديثة التي أجريت حول اتجاهات الشباب نحو شبكة الانترنيت أكدت هذه الحقيقة ، فنذكر على سبيل المثال دراسة سعودية أجراها الباحث خالد الفرم بعنوان : «شبكة الإنترنت وجمهورها في مدينة الرياض. دراسة تطبيقية على ضوء نظرية الاستخدامات والإشباعات» ، أكد من خلالها أن تفاعل الشباب السعودي ذكورا وإناثا مع شبكة الإنترنت كان تفاعلا كبيرا جدا، خاصة الشباب ما بين «فئة 21-24» ، فمن خلال الدراسة اتضح مدى تعطش المستخدم السعودي لتقنية الاتصال الحديثة ،وتعطشه بشكل كبير حسب الباحث ربما يعود إلى رغبته في التعرف والتفاعل مع الآخرين .(الفرم ، 2001).

وتوصل الباحث في دراسته إلى نتائج مهمة حول مواقف وآراء الشباب السعودي حول الانترنيت ، وربما يمكننا أن نسقط بعض النتائج على باقي شباب المجتمعات العربية ، على اعتبار أن الشباب العربي يمتاز بصفات مشتركة كثيرة كاللغة، الدين ، العادات والتقاليد ، أنماط العيش ...الخ ، مع بعض الاختلافات طبعا من مجتمع لآخر في أشكال وأساليب تطبيقها وممارستها ، وقد خلص الباحث من خلال دراسته الميدانية إلى تأكيد ما يلي:

" إن الانبهار في استقبال الشباب للانترنيت أمر طبيعي ،وأن جمهور الإنترنت الآن في مرحلة الترشيد ،حيث بدأ في استخدامها بأسلوب عقلاني وعملي وعلمي، لن يكون هناك أي تراجع كبير، ولن تهمل شبكة الإنترنت إطلاقا لأنها وسيلة اتصالية جامعة، واعتقد انه سيتعزز وضع الانترنت بشكل كبير جدا في القريب العاجل. إن الشباب العربي وجد ضالته في الانترنت باعتبارها مجالا للتثقيف والترفيه في آن واحد لكن للأسف نظرا لحداثة هذه الأداة فقد استغل فيها الجانب الترفيهي البحت، أي أنها لم تستغل بشكل كبير معرفيا أو تجاريا، بل احتلت الإشباعات العاطفية والاجتماعية نسبة كبيرة جدا من الإشباعات التي يبحث عنها مستخدم الإنترنت ، و نجد أن نسبة أكثر من 50% منهم يستخدمون الإنترنت

للبريد الإلكتروني، وحوالي ثلث المستخدمين يستخدمون الشبكة لما يسمى بالشات أو المحادثة الإلكترونية، فالمجتمع السعودي مجتمع محافظ ومتمسك بتقاليده الإسلامية والعربية ،فالإنترنت تعتبر ملجأ كبيراً للعلاقات الاجتماعية والعاطفية والتعرف على الآخرين.' (الفرم ، 2001).

من المهم أيضا أن نشير إلى الدراسة الكندية التي أجراها فريق من الباحثين هم بيات ، بون ، جيرو، وميلرون (F, Millerand /L,Giroux /C Pons /J, Piette) تحت إشراف وزارة الثقافة والاتصال بمحافظة كيبك عام 2006 ، وذلك في إطار تحقيق دولي حول الشباب والانترنيت (التصورات، الاستخدامات ، وامتلاك الانترنيت) ، وقد خلصت الدراسة في الشق المتعلق بتصورات الشباب نحو الانترنيت إلى نتائج عبرت عن ارتباط الشباب المعني بموضوع الدراسة بالانترنيت واستخداماتها بشكل قوي ، إذ تضمنت أسئلة الاستبيان الموزع على الشباب أسئلة أعدت للتعرف على انطباعاتهم وتصوراتهم حول الانترنيت ، أهميتها ، وعلاقتها بوسائل الإعلام الأخرى ، و قد اقترحت عليهم خمسة خيارات لتحديد اتجاهاتهم هي : "أوافق بشدة"، "أوافق نوعا ما" " لا أوافق نوعا ما " ، "لا أوافق بشدة " ،" لا أعرف (Piette et autres , 2006)."

لقد ظهرت إجابات المستجوبين متوافقة بشدة مع الاقتراح الأول ، فأكد تسعة شباب من أصل عشرة أن الانترنيت غاية في الايجابية وهي بالفعل وسيلة ثورية ، كما أكدت نسبة عالية من هؤلاء الشباب أن الإنترنت في الغالب تكون مفيدة وذات منفعة بالنسبة لهم ، ونصف هؤلاء يعترفون بأنهم سيكون من الصعب عليهم الاستغناء عنها مستقبلا.

كشفت دراسة أخرى أيضا أجرتها مؤسسة " يونيفرسال ماك كين كونيكشن Universal McCann" "Connectionsبعنوان " الانترنيت ، وسيلة إعلام مرجعية للشباب" سنة 2003 نتائج مهمة بخصوص اتجاهات الشباب نحو شبكة الانترنيت، وقد تم توجيه التركيز في هذه الدراسة على فئة الشباب من (12 إلى 20 عاما) ، مع تقسيمها الى ثلاثة فئات عمرية (12-14 سنة ، 15-17 سنة و 18-20 سنة) ، وقد قام فريق البحث بمراقبة مجموعات الشباب اسبوعيا بغرض ملاحظة طرق وانماط تفاعلهم مع مواقع الانترنيت: (Santrot , 2003)

في نهاية التحقيق توصل الباحثون الى مجموعة من الاستنتاجات اهمها :

يقضي الشباب ما معدله ساعتين يوميا في استخدام الانترنيت من المنزل ، وقد يستخدمونها في قاعات الالعاب ،و في بعض الأحيان في المدرسة .

-في أغلب الأحيان يلج الشباب للأنترنيت في الليل ، وفئة الذكور هي الفئة الأكثر استخداما للأنترنيت من الإناث .

-يتجه الشباب أكثر " للتواصل الالكتروني" أكثر من أي شيء آخر ، فالدخول لمواقع الدردشة و إرسال الرسائل عبرالبريد الالكتروني ، و إرسال الرسائل الفورية .هي النشاطات الاتصالية الأكثر شعبية بين الشباب .

-يتجه أيضا الشباب بدرجة كبيرة لزيارة بوابات الوصول إلى الخدمات "الاعلامية" ، كمواقع الصحف ووسائل الاعلام للحصول هلى الاخبار المستجدة والاطلاع على الاحداث الجارية ، ايضا يهتم الشباب بمواقع محركات البحث ،

اذ يلجون اليها بغرض الحصول على معلومات تخص مواضيع معينة . وقد خلص تقرير الدراسة الى تأكيد نتيجة اساسية مفادها ان الشباب يحملون تصورات ايجابية للغاية اتجاه الانترنيت على عكس الفئات العمرية الاخرى كفئة كبار السن .

-أظهر الاستطلاع أيضا تغير علاقة الشباب مع وسائل الإعلام الأخرى ، إذ أكدت أغلبيتهم ، سيما الذكور أنهم كثيرا ما يفضلون الولوج لمواقع الانترنيت على مشاهدة التلفزيون ، رغم ذلك فالعلاقة بين الوسيلتين تبقى علاقة تكاملية حسب الشباب و لا تحل وسيلة محل أخرى أو تلغيها.(Santrot , 2003) .

بينت كذلك دراسة عربية قام بها الباحث المصري إبراهيم شوقي عبد الحميد حول اتجاهات طلبة الجامعة نحو الإنترنت واستخداماتها وعلاقة ذلك بالتحصيل الدراسي "دراسة مقارنة بين الجنسين"، أن ارتفاع نسبة شيوع استخدام الإنترنت بين الذكور، عنها بين الإناث. وقد ارجع ذلك إلى كون الذكور أكثر امتلاكاً للكمبيوترات، وأكثر استخداماً لها، مقارنة بالإناث، كما أنهم أقل معاناة من قلق الحاسب مقارنة بالإناث ، بمعنى أن الذكور أكثر ثقة في قدرتهم على استخدام برامج الكمبيوتر والتعامل مع أنظمة التشغيل المختلفة. بالإضافة إلى ذلك يتميزون بدرجة أكبر من فرص الاستقلالية عنها لدى الإناث، مما يعكس زيادة فرص الذكور في استخدام الإنترنيت سواء داخل المنزل أو الجامعة أو خارجهما. والذكور أيضاً حسب الباحث هم أكثر فاعلية ذاتية في استخدام الحاسب، لكن رغم أن الذكور أكثر استخداما للإنترنيت تميل اتجاهات الشباب من الجنسين نحوه إلى الإيجابية ، ونحو التفاعل مع الانترنيت واستخداماتها . (شوقي ، 2008).

إن دخول الشاب في علاقة افتراضية عبر الانترنيت بإخفاء الاسم والظهور باسم مستعار (Pseudonyme) أو مزيف ، وكذا غيابه الفيزيائي وبعده الجغرافي كلها عوامل تدفع بالفرد إلى الكشف عن مكبوتاته دون أن يشعر بأدنى خطر، أو أن تكون لأفعاله الافتراضية انعكاسات على حياته الواقعية ، ويقابل ذلك أيضا يقين بأنه يستحيل الالتقاء في يوم من اليوم مع الرفقاء الافتراضيين في الواقع، إن الشعور بالأمان وغياب الخطر يتأكد أكثر إذا تعلق الأمر بعلاقة افتراضية بين الجنسين . (قيدوم ، 2008).

إن ظاهرة غياب الاتصال وجها لوجه مع الآخر يجعل الشباب أسرى للنص المكتوب أو لصور الفيديو، فتغيب الأحاسيس الحقيقية المفعمة بالمشاعر والتعابير الصادقة ، وتغيب جميع مفردات لغة الجسد التي تولد صلة الدفء مع الآخر، فتكون أحاسيس من يخفي شخصيته الحقيقية احاسيسا مختزلة على حد تعبير حسن مظفر الرزو . (الرزو ، 2007: ص274).

يتجلى تواري بعض الشباب وراء تعددية الذات والهويات، واستحداثهم لهويات متعددة أساسا في غرف الدردشة والمنتديات وحين إرسال البريد الالكتروني، أين يتبنى الذكور شخصيات الإناث ، ويظهر الكبار على أنهم صغار ، والبطالون على أنهم موظفون أو أطباء أو مهندسون ، كما تظهر عملية بناء الهويات أيضا في مواقع الألعاب الالكترونية، التي يقوم بها الأطفال في تجريبهم للأدوار الاجتماعية التي يتقمصونها) (Guerrier , 2003) .

سنذكر في ما يأتي بعض شهادات الشباب التي استقاها الباحث في إحدى حوارات الدردشة التي أجراها على موقع السكايب بتاريخ (21 ديسمبر 2009، على الساعة 22:35) ، المحاورة الأولى مع شخص عرف نفسه باسم " بدر22" ، حين سؤل عن الدافع وراء عدم ذكر اسمه وجنسه الحقيقيين كان جوابه كالآتي:

" غالبا ما أغير أسمائي المستعارة ، كلما ادخل لموقع خاص بالدردشة ،وعادة أفضل موقع السكايب ، اختار كل مرة أسماء جميلة وجاذبة ، كما لا أصرح بسني الحقيقي، إذ اذكر دائما أنني في سن لا يتجاوز الثلاثين ، والواقع أني في سن الأربعين، إلا أنني بكذبي أريد أن استهوي الفتيات للدردشة معي ، وارفض عادة الدردشة بالصوت والصورة، لأنني سأبدو كبيرا بالسن وربما سيرفضن المحادثة معي ، لكن في الحقيقة لا ارتاح نفسيا حين اكذب، اشعر دوما بتأنيب الضمير ، غير أنني متعود على الدردشة ،وحين أكون صادقا قد لا يخاطبني احد ".

-المحادثة الثانية كانت مع متصلة استعارت اسم " آمال توب" ، بعد حوالي دقيقتين من الدردشة المكتوبة ، دعى الباحث -الذي اتخذ لنفسه اسما مستعارا أيضا لإخفاء هويته وكسب ثقة المحاور- من المتصلة استعمال المحادثة الصوتية، فرفضت بداعي عدم امتلاك المايكروفون ، وحين أصر الباحث كان جوابها كالآتي:

" أنت لا تعرفني حق المعرفة وتصر على التكلم معي بالمايكروفون ، هل أنت متأكد فعلا من أنني فعلا آمال ، وأنني أنثى ، وذات 21 عاما ؟ ربما أنا ذكر وعمري يتجاوز الخمسين عاما ، انتم الشباب تهرعون دوما لمحادثة الفتيات، وتفرشون الأرض بالحرير ،لكن من يصدقكم؟ "

يتضح من خلال الشهادتين السابقتين تجل بارز لاصطناع الهويات في المحادثة الالكترونية ،ويبدو أن هذه الهويات تمتزج فيما بينها ولا تظهر الهوية الحقيقية من الزائفة ، كما بدا ذلك في الشهادة الثانية التي أوردها الباحث ، إذ لم يتعرف طوال مدة المحادثة على الهوية الحقيقة للمتصلة التي أجرى معها الدردشة ، هل هي فعلا فتاة ؟ أم أنها ذكر يتلاعب بمحاوريه ويستهويهم بدافع التلاعب بنفسياتهم وأعصابهم ، أو بدافع الكذب عليهم والتشفي منهم.

3. الإعلام الاجتماعي والاستبعاد الاجتماعي الطوعي للشباب:

إن تواري الشباب خلف الهويات المستعارة يؤدي بهم مع الوقت إلى الشعور بعدم الانتماء الاجتماعي الحقيقي لمجتمعهم و أسرهم ووطنهم ، و ينشأ لديهم نوع من الاغتراب النفسي و الاجتماعي الذي يحد من شعورهم بالمشاركة و الانخراط في نشاطات المجتمع أو تقاسم القيم و الهوية مع غيرهم من أفراد المجتمع ، ولو كان ذلك مع أفراد أسرهم و أصدقائهم ، فيشعرون و كأنهم ليسوا جزء من المجال الاجتماعي الفيزيقي الذي يربطهم بالجماعات المرجعية التي ينتمون إليها (كالأسرة ، المدرسة ، الجامعة، المسجد ، العمل ....) ، و قد أشار الباحث الفرنسي ريمون بودون إلى أن من نتائج الشعور بالاغتراب و الاستلاب الضعف الفكري العام ، الذي يؤدي إلى انحلال الرابطة بين الفرد و الآخرين ، و ظهور العديد من السلوكيات الغريبة لدى الأفراد مثل عدم المشاركة في المسؤولية الاجتماعية ، العزلة ، التمركز حول الذات و الانغلاق في حدود الدائرة الشخصية ، ورفض القوانين و المعايير الاجتماعية المشتركة بين الناس . (الصغيري، 2021)

و قد ينتقل مجال لا اهتمام الشباب بالشأن العام وانغماسهم بالمجال الافتراضي إلى أبعد من الشعور بالإغتراب و هو الشعور بالاستبعاد الاجتماعي ، أي الإحساس بعدم اهتمام الجميع به ، و يتولد لديهم الشعور بالإقصاء و التهميش ، كأن يتحاشاهم الجميع ، بدء بأفراد الأسرة وأصدقاء الطفولة و زملاء الدراسة أو العمل ، فينكفؤون عن أنفسهم و يشعرون غالبا بالإحباط كأن هناك نبذ اجتماعي لهم ، فيتولد لديهم الشعور بالدونية وإحساس مستمر بأنهم يتعرضون لكل مواقف السخرية و الاستهزاء من قبل كل من يحيط بهم.

و بالتالي يؤدي بهم هذا الاستبعاد الاجتماعي إلى تردي وضعهم النفسي وما ينعكس عليه من توتر وقلق قد يؤدي الى عدائية وإحباط، حيث يشعرون بانعدام اهميتهم ، وتتزايد عندهم المبررات الغريزية لممارسة الاحتجاج و الرفض الاجتماعي بشكل غير منطقي لكل القيم و القوانين و الضوابط الاجتماعية . (المجالي، 2020)

يتسم صنف الاستبعاد الاجتماعي الطوعي الذي ينشأ بسبب انغماس الأفراد في عالم الاعلام الاجتماعي و هجرهم للعالم الحقيقي بأنه استبعاد إرادي ، و ليس قسري ، فهو لم ينجم بحرمانهم عنوة من المشاركة في الحياة الواقعية ، و لم لم يستبعدوا عن المشاركة في حقوق المواطنة المتساوية على كل المستويات : كالمشاركة في التفاعل الاجتماعي ، المشاركة في العمل السياسي و الجمعوي ، و حرمانهم أيضا من الموارد الاقتصادية ، كالشغل ، الخدمات ، الأموال...إلخ ، بل هؤلاء الأفراد هم من قرر هجر الحياة الواقعية و الإنكفاء على ذواتهم في حياة افتراضية متواصلة ، منقطعين بصورة كبيرة أو كلية عن كل ما يربطهم بمجتمعاتهم و أسرهم و أوطانهم .

و من المؤكد أن مسألة الاستبعاد الاجتماعي الافتراضي الطوعي لا ترتبط فقط بمشكلة عدم المقدرة أو الفقر ، أي يلجأ هؤلاء الأفراد لهجرة الواقع الحقيقي بسبب فقرهم و عدم تمكنهم من امتلاك المال أو الوظيفة اللذان يحققان لهما التقدير الاجتماعي ، و لا ترتبط أيضا بمسألة الحرمان السياسي و الاقتصادي فقط ، أي حرمان هذه الفئة من المشاركة في عملية إدارة الشأن السياسي و الاجتماعي ، والمساهمة في عملية إدارة و تنمية المجتمع الذي تعد جزء منه ، إلا أن هناك عوامل متعددة تدفع فئات كثيرة من الشباب لممارسة الاستبعاد الطوعي وهجرة العالم الحقيقي ، نتيجة التضاربات القيمية و الهوياتية التي تواجههم ، بين الطموح لوضع أفضل وواقع مرير يعيشونه ، بين الأمل بحياة هادئة سعيدة و تقدير اجتماعي وحالة اقتصادية جيدة ومن جهة أخرى تواجههم بطالة مستمرة و أفق مظلم ، وبين الأمل بتغيير الوضع السياسي و التمتع بممارسة الحريات الفردية و الجماعية و من جانب آخر تواجههم كل أشكال الإقصاء و الاستبعاد .

كل هذه الوضعيات الإشكالية المتضاربة التي يعيشها كثير من الشباب الآن تدفعهم للاستسلام و الجنوح للحلول السهلة ، وهي البحث عن واقع افتراضي بديل ، يحقق لهم ظرفيا و افتراضيا كل آمالهم المهدورة ، فتتناسل لديهم كل أشكال الانهزامية الهوياتية ، ولا يسعون لمقاومة الواقع المفروض عليهم أو السعي على الأقل لتغيير ما يمكن تغييره .

الكثير من الشباب الآن خاصة في المجتمعات غير المتطورة تتمثل هويات افتراضية بديلة ناجحة في العالم الافتراضي ، و تسقطها على واقعها الفعلي ، بكل ما يحمله ذلك من تناقضات ، فيتقمصون هويات بديلة و يسعون لتتبع حياة المشاهير و صناع المحتوى ، من مشاهير و رياضيين و فنانين و رجال أعمال و علماء ، وغير ذلك ، وينغمسون في

ملاحقة وتتبع حياتهم الشخصية العمومية ، التي أصبحت ملكا مشاعا لكل متابعيهم في صفحات الإعلام الاجتماعي ، فيعملون على محاكاة الحياة الاجتماعية و الشخصية لهؤلاء ، وغالبا ما تحدث لهؤلاء الشباب صدمات و هزات نفسية نتيجة إحساسهم بالفارق بين مستوى الحياة التي يطمحون إليها و بين مستوى الحياة التي يعيشونها فعلا ، وقد يصل بهم الأمر إلى الإنغلاق و التمركز على الذات و معاداة واقعهم الفعلي ، وهجر أقاربهم ومعارفهم ، لأنهم يعتقدون أنهم لا يواءمون الشخصيات الافتراضية التي يتمثلونها ، فيفقدون العلاقات الحميمة معهم ، بحثا عن علاقات حميمة افتراضية مثالية ، وغالبا ما تحدث لهم صدمات نفسية أيضا لما يكتشفون أن الشخصيات البديلة التي يتمثلونها و يقيمون معها علاقات معينة ، هي شخصيات مزيفة ، خاصة لما يريدون تطوير علاقاتهم بهم لتكون علاقات حقيقية ، فغالبا ما تكون هذه الشخصيات وهمية ، و كل ما تصور به نفسها يكون مزيفا و غير حقيقي .

إن أخطار هجرة الشباب الافتراضية تتزايد يوما بعد يوم في ظل تغييب كل ما له علاقة بالتربية على الإعلام الرقمي ، و تحصين الشباب بالقيم الاجتماعية و الثقافية و الدينية التي تجعلهم في منأى عن هذه الأخطار ، فالشعور بالإحباط والغربة الاجتماعية والانبتات عن الأصل والأهل، والهروب المعنوي إلى مجتمعات الخلاص المجهولة لا زال متواصل، فتحولت المجتمعات الواقعية إلى ملاجئ قسرية للمحبطين و المقعدين (الصغيري ، 2021) ، في ظل استمرار غياب المؤسسات الاجتماعية و التربوية و السياسية و الثقافية عن أداء أدوارها ، في تحقيق الأمن الاجتماعي و الثقافي و الإيدولوجي للشباب ، لتمكينهم من مواجهة مضامين الإعلام الاجتماعي بقوة ، فيجب أن تتسارع كل المؤسسات الاجتماعية و الأسر لتوفير البدائل الممكنة لحمايتهم ، وجعلهم يعيشون بين الواقع الافتراضي و الواقعي بمنطق وعقلانية ، دون أن يشعروا و كأنهم تحولوا لأسرى للواقع الافتراضي ، بل العكس من ذلك ، أي تحويل الواقع الافتراضي و منصاته كأدوات لتحسين الواقع الحقيقي ، من خلال الاستفادة من منصات معينة ، كالتعليم الافتراضي ، تعلم اللغات، التواصل الثقافي الافتراضي، السياحة الافتراضية ، اكتساب المهارات العلمية والفنية افتراضيا ....إلخ

. خاتمة:

لقد تمكن مستخدمي مواقع الإعلام الاجتماعي من أن يجدوا لهم بيئات افتراضية بديلة عن البيئة الواقعية التي يعيشون فيها ، لبناء معالم الشخصية الافتراضية التي يطمح كل واحد أن يكون عليها ، والدوافع لبناء هذه الشخصيات البديلة متعددة ، فقد تكون نوع من الهجرة الطوعية للبحث عن واقع مثالي ، يشمل علاقات أفضل و أصدقاء أفضل أيضا و تقدير اجتماعي لم يتوفر لهم في الفضاء الحقيقي ، و قد تكون هجرة غير طوعية ، بفعل الاستبعاد الاجتماعي الممارس على الأفراد ، بفعل التهميش و عدم التقدير ، والاحساس بالاغتراب الاجتماعي و الثقافي و الشعور بعدم الارتباط بالأهل و بالأصدقاء الفعليين ، و عدم القدرة على الإندماج الاجتماعي ضمن الفضاءات الاجتماعية و السياسية التي توفرها الدولة ، و هذا الاغتراب الاجتماعي الذي يعيشه كثير من الشباب و المراهقين اليوم يؤدي بهم إلى عيش القطيعة مع الأجيال الاجتماعية الأخرى ، و التعبير عن رفضهم لكل أنماط التفكير و طرق العيش التي تميز هذه الأجيال الأخرى ،

في المقابل تجدهم ينغمسون كليا في المجموعات الافتراضية التي يؤسسونها ، ويمارسون من خلالها كل الطقوس الجديدة المتعلقة بطرق الحياة حسب زوايا نظرهم ، كطرق اللباس ، الحديث ، الأكل ، التعبير عن الواقع السياسي و الأحداث اليومية ...إلخ

قائمة المراجع :

1-ستيوارت هال. (2008). حول الهوية الثقافية، ترجمة بول طبر، مجلة إضافات ، العدد الثاني.

2-عائشة لصلج .(2017) . أشكال التعبير عن الذات عبر الفيسبوك – دراسة ميدانية على عينة من الشباب الجزائري-، الجزائر ، رسالة دكتوراه غير منشورة .

3-عادل بن الحاج رحومة .(2010) . تنشئة الهويات الفردية عند الشباب عبر الفضاءات الاتصالية والمعلوماتية، مجلة إضافات، العدد التاسع.

4-نصر الدين العياضي، الشباب والانترنت، مجلة أفكار وآفاق .

5-عزي ، عبد الرحمن .(2005). الانترنيت والشباب: بعض الافتراضات القيمية . بحث قدم لملتقى الشباب والانترنيت، كلية الإعلام ، جامعة الشارقة ، الشارقة.

6-رابح، الصادق . (2009). الانترنيت كفضاء مستحدث لتشكل الذات . البوابة العربية لعلوم الإعلام والاتصال ،تم استرجاعها يوم 4-5- 2009 من www.arabmediastudies.org

7-الصادق، الحمامي. (2012) .الميديا الجديدة الإشكالات السياقات ، تونس ، سلسلة البحوث المنشورة ، جامعة منوبة .

8-ستيفان شوفالييه ، كريستيان شوفيري .(2013). معجم بيير بورديو ، تر: الزهرة إبراهيم .الجزائر : دار الجزائر للنشر.

9-ابراهيم شوقي ، عبد الحميد.(2008). اتجاهات طلبة الجامعة نحو الإنترنت واستخدامه في علاقتهما بالتحصيل الدراسي "دراسة مقارنة بين الجنسين"، تم استرجاعها بتاريخ 12-4-2021 من http://us.geocities.com

10-حسيبة ، قيدوم .(2008). الأبعاد النفسية والاجتماعية للعالم الافتراضي ، المجلة العربية للعلوم والمعلومات .

11-حسن مظفر ، الرزو.(2007). الفضاء المعلوماتي. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية.

12- خالد ، الفرم .(2001). شبكة الإنترنت وجمهورها في مدينة الرياض : دراسة تطبيقية على ضوء نظرية الاستخدامات والإشباعات ، مذكرة ماجستير غير منشورة ، جامعه الملك سعود، المملكة العربية السعودية.

13-الصغيري ، فريد (2021). الإتاحة الاتّصالية للشباب، حدود التواصل ووضعيات الاغتراب: المحفزات الجديدة للهجرة النفسية. تم استرجاعها بتاريخ 20-4-2022، من https://tanwair.com/archives/10898?desktop_view=show

14-المجالي، هاشم نايل . (2020) . الاستبعاد الاجتماعي للشباب وانعكاساته!!! ، تم استرجاعها بتاريخ 22-04-2022، من : https://alanbatnews.net/article/218372

15-McCann Connections . (2003) . Internet, média de référence des jeunes, Le journal de net , [en ligne] www.journaldenet.com.

16-GIRI (2009). Principaux services ou fonctions d'Internet . [en ligne] université de Laval, www.bibl.ulaval.ca/vitrine/giri//mode1/1_3.htm#courrier.

17-Benoit ,Desavoye .(2009). Quels usages font les jeunes d'Internet ? [en ligne] http://www.netalya.com/fr/Article2.asp?CLE=158.

18-Philippe ,Guerrier .(2003). Interview avec Serge Tisseron, « Les nouvelles technologies modifient la manière de percevoir les autres et soi-même », Journal du Net, Paris ,15 septembre 2003.

19-Sylvie, Craipeau .(2005) . Jeux et Internet : quelques enjeux psychologiques et sociaux, Kairn info, Dossier thématique , vol. 11.

20-M.W, Gamble, and Gamble Teri Kwal.(2002). The Gender Communication Connection, Allyn & Bacon, p298.

21-My Mobile Blog .(2007). Effects of internet on youth , [en ligne]http: //iatrogenicity. blogspot.com/2007/05/effects-of-internet-on-youth.html.

22-Piette , Jacques et autres. (2006). «Les jeunes et Internet: (Appropriation des nouvelles technologies)». Rapport final de l'enquête mené au Québec. Ministère de la Culture et des Communications Gouvernement du Québec.

23-Florence, Santrot .(2003) . Internet, média de référence des jeunes . Une étude d'Universal McCann Connections, Journal du Net, http://www.journaldunet.com /0306/030624jeunes.shtml

24-Santrot ,Florence(2003) . Internet, média de référence des jeunes . Une étude d'Universal McCann Connections, Journal du Net, http://www.journaldunet.com /0306/030624jeunes.shtml

25-Philippe ,Guerrier .(2003). Interview avec Serge Tisseron, « Les nouvelles technologies modifient la manière de percevoir les autres et soi-même », Journal du Net, Paris ,15 septembre 2003.